

# السيد الاشمق



تأليف  
فضيلة الشيخ  
إبي عبد الله محمد بن عبد الحميد سونبة  
رحمه الله تعالى ربيع قارو



hasona.net

# سنة الاحكام

## حقوق الطب مع محفوظات

مصدر هذا الكتاب هو الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ  
يسمح بنشره والانتفاع به، ولا يسمح بطباعته إلا بعد التواصل مع ورثة الشيخ



[hasona.net](http://hasona.net)

## اليد الأثمة

بعد البسمة والحمدلة والحوقة.. أقول:

غفر الله لك مُخبري<sup>(١)</sup>! لا زلت تأتيني بالأخبار العظام! داعية السقام بطيئة الالتئام.

قد كنت في غنى عن كلمها، وعافية من كلمها، وسلم من عملها في الفؤاد، من تأثيرها في التناج والرقاد.

ألم يكن في الغفلة: للصدر صفاء، وللنفس نقاء، وللجراحة وجاء؟!

ألم نفرش حسن ظن، وملتحف العافية؟!

ألم نغدو في صيانة ونروح في سلامة، وفي تروحيتنا نفرح في سكينه ونمرح في طمأنينه، نعمنا فيها بسمع وقلب سالم غانم، في الخير خالد، محمد محمود؟.  
ألم..

وفجأة.. ترتجف أركاني، ويضطرب بنياني ليأذن عن مخابرة تجلجل، تخلخل الأفكار، تقبض اليد عن تناولها وتبسط، ثم يقرع داع الاحتساب، تعقبه نصوص بل فصوص الصبر تزف البشرى، فتقوى الهمة، وكانت -قدرًا- معها الغمة!  
أجل.. كانت في الإجابة فجيحة! جلبت الإجابة وجيحة.

(١) هاتفي ونفر من مجالسي، وليت الأول عقل نهي للثاني.

أمُّ تسبق دموعها كلماتها، تشتكي وجوارحها تنزف جناية ولدها عليها، وتطول بنانه بعد لسانه!!! بل زاد فجره فكان حجره السفيه عليها!!! وحبسها عليه!!! وهي الشديدة الرشيدة، المصونة الحصونة، في واحدة من مصائب الإصابات، وأسوأ ما سمعت من السوءات، فيها -كما هو ظاهر- إحياء لجائر جاهلية غابرة نسختها شريعة ربانية غامرة.

هذا الإجمال، وإليكموا التفصيل، مع النصح والتدليل، أستهله:

إن آلاماً تئنُّ لها خبايا البيوت، وتصدِّع منها جدران القلوب، تتيه بين سراديبها نسمة بسمه، وتغيب في طباقات ظلماتها عابر عبرة، وتقر في أكفانها ذكر ذكرى.

إن صرخات الدموع، وبكاء الألسن، وتفطّر أكباد الحروف، ونزف قلوب الكلمات: خليط أفرزته الهموم وأمشاج الغيوم المتصارعة في نفس أمِّ قتلها المصاب وأصابها قصداً أعزب الأحاب بسهام عقوق، عُقلت معها عقول الحقوق!

أمُّ.. دهش تعجبها وعجب دهشها، من نهش ولدها لها، وتمزيقه أحشاء جبهها، ومصادرته برّ تصوّر قبل وروده بورده، ليخلف حسرة؛ حشرج لها صدر كان حانياً، وحرّم معه حجراً كان حامياً، ليورث أضغان الحسرات، ويحبس أنفاس الدعوات، ويلجئ إلى إدمان ندم متنام، أشبه بحال اليتيمات.

أمُّ.. تشتكي أعضاؤها، وتتوجع أركانها، تشهد بالجريمة مشاعرهما، وتنطق بالجناية جوانحها، تحدثك شواهدهما في ذهول عن ضعف إيمان، عن جهلٍ بإسلام، عن ذبول أخلاق وسفول أعراق، عن تنكّر لأعراف وإنكار لمعروف، شكوى تقطعها الآهات، وتختلجها الأنات، وتزاحمها الشهقات، وفي تضاعيفها صيحة حبيسة، تقبرها نجوى ربّ الأرض والسماوات.

أم.. تبكي ألمًا، وتصرخ كمدًا، فبعد أفول ضجر ضجيع، عشق الضجيج،  
رامت بذهاب ليله انفراج الضيق، في فلذة كبد رقيق، زهدت له في رفقة رقيق، ونعمت  
برعايته ليكون الرفيق الرفيق! تفرح عنده وتمرح، وتطرح معه ركام زمان وتبرح  
الضيق، ضياء ينير لها فيما بقى من عمر فرحها الطريق.

إنها أم.. كسر ما بقي من عود عمرها: العقوق! وهذّ عالي أمانها بطش أيدي  
ولدها ذات العقوق نكرة الحقوق.

تستغيث! وما أكثر المغيث وأسرع المجيب، بيد أنه سرعان سعيه يخيب، في أمر  
يكاد عقله من هوله يغيب.

إنها اليد الأثمة، والتي كان حقها أن تكون حانية حامية بل حامدة، هي الجانية  
هي المجرمة.

أجل..

اليد الحانية هي الجانية.

اليد الأمينة هي الخائنة.

اليد الحامدة هي الجاحدة.

اليد المُحبة هي المحاربة.

ألا.. قطعت تلك الأيدي الأبية.

تبًا تبًا.. لنفس عاقه، للحقوق شاقة.

سبحان الله! أهكذا الجزاء؟! أبذا الوفاء!؟

أمّ.. ربّت، وربت معها رؤى سعيها، تترنح طربًا حال تصور رتعها في ربوع برّ ولدها وحنو أحفادها، تتشوف وتتشوق لجني حصاد جهدها، وتذوّق ثمار صبرها، ولذة عفافها، وبركة احتسابها، تنمو آمالها بنمو أيامها، فيكبر بكمبرها رجاؤها.

إذ تلوثها بل - وبكل أسف وأسى - تصفعها أيدي آثمة بفعلة شائنة شائنة، لتحدث نفسها بنفسها في هلع وذهول، وولع وذبول:

ولدي! كيف تجاسرت؟!!!

كيف طابت نفسك؟!!!

أيا مسلمون! أمثل هذا يكون؟!!!

ولدي! أما تذكر تداخل الأنفاس، وتناكح الشفاه، وتعانق البسمات والمداعبات، وتتابع التعب واستعدابه والتبعات؟

ولدي! أما عايشت كيف مرت سنون بحلوها وجرحها، فكان الوفاء في هذا الشقاء!! وحفظ الحقوق بهذا العقوق?!.

ولدي!.. وهنا تستجلب الشكوى قصة رمزية كسلوى، تقول:

أغرى امرؤ يومًا غلامًا جاهلاً	بنقوده كي ما ينال به الوطر
قال اثنتي بفؤاد أمك يا فتى	ولك الجواهر والدراهم والدرر
فمضى فأغمد خنجرًا في صدرها	والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى	فتدحرج القلب المضرج إذ عشر
ناداه قلب الأم وهو معفر	ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر

فكأنَّ هذا الصوت رغم حنوه      غضب السماء به على الولد انهمر  
 فارتد نحو القلب يغسله بما      لم يأتها أحد سواه من البشر  
 واستل خنجره ليطعن نفسه      طعنا فيسقى عبرة لمن اعتبر  
 ويقول يا قلب انتقم مني ولا      تغفر فجريمتي لا تغتفر  
 ناداه قلب الأم كفّ يدا ولا      تذبح فؤادي مرتين على الأثر<sup>(١)</sup>

وساعتئذ يسكتها سكون، تسلي نفسها بحق القضاء، وما كتبه الله تعالى على العباد من البلاء، فيسري في جسدها برد القبول، وتتضلع جوارحها ربي الرضا بالمقدور، تصبو معه نفسها إلى الجنان، وما أعدّ لصالحي الذكران والنسوان، فيقلع القلب عن عنائه، ويخلص من عالقه وعائقه، ويتعلق بخالقه، فيصير بدا في فرح وحبور، وينعم بسكينة وسرور، فتقوى بدا الأركان، وتهابه الإنس والجان.

### وعليه.. أقول:

أما فقهاء تلك الأيدي الأثمة: أن الله تعالى قرن البرّ كحق بأعظم حق - وهو توحيد سبحانه - وذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الآية [الإسراء: ٢٣].

(١) هي كما أسلفت قصة رمزية، غير أنه لا يمتنع من إنكار قول «غضب السماء» وإن كان القصد: رب السماء. وكذلك قول «جريمتي لا تغتفر»: فهي وإن كانت عظيمة غير أنها تُغفر، والذي لا يغفر الموت على الشرك. وكذلك قول «ليطعن نفسه»: منسوخ، وشريعتنا على تحريمه وتجريم فاعله. وكذلك «أغرى امرئ غلاماً»: فإن كان صغيراً فحكّمه آله! والقصاص من المحرّض، وإن تعدد. وكذلك قوله «انتقم مني»: والأصل الاستغفار والستر، وإن صعد فلأولياء العفو على سبيل الفضل.

أما عقلت تلك الأيدي الأثمة: أمر رسول الله -صلى الله عليه وإخوانه وآله وسلم-:  
«الزَمَ رِجْلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ» الحديث (١).

وإخباره الأمر في قوله: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» الحديث (٢).

أما علمت تلك الأيدي الأثمة: الآثار السلفية والأخبار التقية النقية عن بر البررة،  
عن حالهم ومآلهم. واعتبرت بخبر الفجرة، وحياتهم ومآلهم.

أما أيقنت تلك الأيدي الأثمة: بيوم الحساب ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾  
[هود: ١٠٣]، للسؤال عن الصغيرة قبل الكبيرة، في موقف لا تخفى فيه خافية، تبلى ما  
في السرائر، ويكشف عما في الضمائر، ويؤاخذ ويؤخذ المرء بما قدم! في هالة من  
الهيبة غاشية، وحالة من الفرع طاغية.

فيا له من يوم!!! يا له من موقف!!!

ساعتئذ نرى مكانة تلك الأيدي الأثمة ونشهد منزلتها، ونسمع منها أخبارها،  
ولتعلمن نبأه بعد حين.

### وفي الأخير:

صيحة نذير لتلك الأيدي بالكف، مع انخلاع وانقشاع، وسكب دموع بل دماء  
توبة؛ في ندم مردوف بإصلاح مصحوب ببرُّ بغية الفلاح قبل الندم يوم الصياح، ندم  
لا ينفع معه ندم ولا نديم، إنما هو الانكباب بل الهوي في قعر الهاوية ذات النار  
الحامية.

(١) صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح ابن ماجة» برقم (٢٢٥٩).

(٢) صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيح الجامع» برقم (٧١٤٥).

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

[الفرقان: ٧٤].

اللهم.. ارزقنا برّ آبائنا وصلاح أبنائنا، وتقبلنا في الصالحين، واحشرنا في زمرة

النبين.. آمين.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

راجي رحمة مولاه

أبو عبد الله

محمد بن عبد الحميد حسونة

في: ١٢/١٠/١٤٣٠هـ - ١/١٠/٢٠٠٩م